علاقة الظروف الأسرية المتردية بعمالة الأطفال

Relationship between deteriorating family conditions and child labour

لامية بوبيدي [1]

[1] جامعة الشهيد حمه لخضر- الوادي، (الجزائر). *lamiaboubidi@gmail.com*

تاريخ الإستقبال: 2019.01.22	تاريخ القبول: 2019.06.21	تاريخ النشر: 2019.07.21

ملخص

تعد ظاهرة عمالة الأطفال من الظواهر الاجتماعية التي تدل على وجود خلل في النسق المجتمعي، كما أنها مؤشر على وجود أزمة حقيقية تستدعي الوقوف عندها بالدراسة والتحليل الموضوعيين من اجل إيجاد السبل و الآليات التي بإمكانها تقليص حدة هذا المشكل المطروح من جهة و العمل وفقا لها من جهة أخرى.

إن الطفل كائن ضعيف نفسيا وجسديا واجتماعية؛ هذا الصغير يحتاج في مرحلة الطفولة إلى غيره في اتكالية لا متناهية حيث تنزع عنه المسئولية بكل أنواعها (الجنائية ، الدينية....)؛ غير انه قد يمسي رجلا صغيرا فجأة بما تحمله لفظة الرجل من معنى دال على النضج و الأهلية في تحمل المسئولية، فيغدو مسئولا عن تامين قوت أسرته فضلا عن تلبية حاجاته الخاصة في تحميل له لمسئوليات كثيرة في انتهاك صريح لحقوقه ابسطها حقه في اللعب، حقه في التعليم....مما يحرمه من متعة الحياة في تعد على القوانين الطبيعية للحياة.

إن تشغيل الأطفال او كما يطلق عليها عمالة الأطفال تتشابك وتتعقد العوامل المؤدية إليها؛ من نفسية واجتماعية وثقافية ....و سنقصر في رؤيتنا هذه على جماعة هامة في حياة الطفل وهي الأسرة. إذ تمثل مصدر الأمن والطمأنينة والسند، بيد انه يدفع بالبعض من الأطفال نحو كسب لقمة العيش -من خلال امتهان عمل ما- هو وجود جملة من الظروف الأسرية المتردية.

الكلمات المفتاحية: *عمل، الطفل، عمالة الأطفال، الأسرة، الظروف الأسرية.*

Abstract

The phenomenon of child labour is one of the social phenomena that indicate the existence of a problem in the societal pattern. It is also a sign of a real crisis that requires us to study and analyze objectively in order to find the ways and mechanisms that can reduce this problem and work according to it.

The child is a weak individual psychologically and physically and socially; he needs in childhood to others, but suddenly he becomes responsible for securing his family's strength as well as meet his own needs in the loading of many responsibilities in violation of his rights and the most basic right to play, the right to education ... which deprives him of the pleasure of life in violation of natural laws for life.

There are many factors leading to child labour, including psychological, social and cultural.... We will shorten in our vision to an important group in the life of the child, which is the family as the source of security and stability and support, but the existence of some of the deteriorating family conditions, prompting some children to work.

Keywords*: work; child; child labour; family ; family conditions*

[1] **المؤلف المراسل:** بوبيدي لامية، **الإيميل:** *lamiaboubidi@gmail.com*

مقدمة

تعد الأسرة الوحدة الأساسية في بناء المجتمع، و صلاحها يعد شرطا هاما في صلاحه؛ فهي البيئة الاجتماعية الأولى التي تستقبل الوليد بمجرد الميلاد فتوفر له شروط الحياة من وجدانية و معنوية و مادية في تشاركية بين أعضائها من اجل تحقيق ذلك. فتحويل الوليد من كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي تتطلب تحمل المسئولية من طرف الوالدين خاصة. ويتحقق في ضوء وجود معطى مهم يعد بمثابة شرط لاستقامة حال الأسرة وهو توفر المناخ الأسري السليم الذي يتجلى عادة في العلاقات الأسرية المتماسكة والالتزام في أداء الوظائف، ليجعل منها خلية حيوية متماسكة ينعم فيها المنتمي إليها بالراحة و الطمأنينة. غير انه قد تخفق البعض من العوائل في بلوغ هذا النموذج الأسري السوي لتبدو عليها ملامح الأسرة المتصدعة خاصة من خلال اللاوظيفية والاخفاقات المتعددة في بلوغ الأهداف الأسرية لتضع أعضائها عامة و الأطفال خاصة في وضعيات تعكس الانتهاك القهري او العمدي لحقوقهم من بينها تشغيلهم او توقيفهم عن الدراسة ....

إن طفل اليوم هو رجل الغد؛ كما يعد ركنا هاما و أساسيا في معادلة البناء الحضاري، لذا توليه الدول جمعاء الاهتمام بتقديم الرعاية والخدمات الاجتماعية المتنوعة قصد توفير الجو السليم الذي يجعل منه فردا فاعلا في المجتمع مستقبلا. ولعل الاتفاقيات الدولية والوطنية الحقوقية لصالح الطفل خير دليل على ذلك (إعلان جنيف (1924)، إعلان حقوق الأطفال (1959)، اتفاقية حقوق الطفل (1989).

لكن بالرغم من ذلك تعاني هذه الشريحة الهامة في بعض المجتمعات الإهمال والإقصاء بل الاستغلال في أبشع صوره من تعنيف واغتصاب ومتاجرة بهم....كما قد يزج بهم في غيابات المجهول في عالم الكبار على اعتبار انه شغيلا او عاملا، مما يجعلهم عرضة أكثر من غيرهم إلى للولوج إلى عالم الجريمة والانحراف وفق ما أكدته العديد من الدراسات السوسيوتربوية و الجنائية....

بالرغم من الجهود المبذولة على الصعيدين الدولي و الوطني لاحتواء مشكلة عمالة الأطفال؛ إلا أنها في تنامي وارتفاع مستمرين، حيث تقدر منظمة العمل الدولية عدد الأطفال العاملين الذين تتراوح أعمارهم بين الخامسة إلى الرابعة عشر سنة بحوالي (250 مليونا) في البلدان النامية منهم(120 مليونا)على الأقل متفرغين للعمل. ومن هؤلاء توجد نسبة (61 بالمائة) في آسيا ونسبة (32 بالمائة) في إفريقيا و نسبة (7 بالمائة) في أمريكا اللاتينية. و عدد الأطفال الذين يعملون في البلدان المتقدمة ضئيل نسبا خلال سنة 1996[1].

وحسب إحصائيات منظمة العمل الدولية حول ذات الظاهرة لسنة 2016؛ تم تقدير ما نسبته 152 مليون طفل عامل (5 – 17 سنة)، من بينهم 73 يعملون في العمل. فتوزعت حسب متغير الجنس ليمثل الذكور ما نسبته (58%) ذكورا في حين مثلت الاناث ما نسبته (42%) . اما حسب متغير السن ، فئة العمرية (5-11سن) مثلت ما نسبته (48%) اما الفئة العمرية (12-14سنة) فمثلت ما نسبته (28%) في المقابل الفئة العمرية مثبت ما نسبته (24%)[2].

أما فيما يتعلق بالوضع في الجزائر فنشهد نوعا من التضارب و التباين بين ما هو مصرح به من طرف السلطات الرسمية و الواقع الراهن المعيش، إذ أننا نشهد تناميا في معدلاتها. مما دفع بالبروفيسور **مصطفى الخياطي** باعتباره رئيس الهيئة الوطنية لترقية الصحة وتطوير البحث العلمي:" إلى الدعوة بوجوب التنسيق مع المجتمع المدني بمختلف مكوناته لان النسبة التي تقدمها وزارة العمل والشغل والضمان الاجتماعي سنويا لا تعكس الوضع الحقيقي لهذه الظاهرة "[3]. فتعج بهم شوارعنا وأسواقنا يتسارعون بين الطرقات لتنظيف زجاج السيارات، وبيع الخبز والأكياس والخضر والفواكه... يزاحمون الكبار في أنماط أعمالهم الشاقة حتى في ورشات البناء و بين البساتين والمزارع، والمبرر في ذلك هو تقديم يد العون لأسرهم من اجل سد الرمق.

جاءت هذه الورقة البحثية بهدف تسليط الضوء حول قضية هامة تشغل الرأي العام و تهم الجميع؛ إذ أنها تخص فئة هامة منه وهي فئة الأطفال الذين يعانون في صمت من خلال إدخالهم عنوة او طواعية في عالم الكبار باعتبارهم عمالا.

وانطلقت هذه الدراسة من تساؤلين رئيسين، يدفع التساؤل الأول منهما إلى ضرورة طرح الثاني. و عموما تمت صياغتهما على النحو الآتي :

- هل للظروف الأسرية المتردية علاقة بعمالة الأطفال؟
- ما هي مختلف الظروف الأسرية المتردية المؤدية إلى عمالة الأطفال؟.

وللإجابة على هذا التساؤل وتماشيا مع طبيعة الدراسات المكتبية تم الاعتماد على المنهج الوثائقي؛ من خلال الاطلاع على مختلف الدراسات العلمية من مذكرات وأطروحات أكاديمية، فضلا عن مواثيق ومناشير وطنية ودولية؛ جعلت من موضوع عمالة الأطفال محورا للدراسة عامة، وخاصة تلك صبت اهتمامها حول المناخ الأسري على اعتبار انه العامل المسبب لظاهرة عمل الأطفال.

1ـ محددات عمالة الأطفال:

1-1- تعريف عمالة الأطفال :

1-1-1-تعريف العمل: لقد عرف مفهوم العمل اختلافات مفاهيمية عبر الزمن في ارتباط بتطور الفكر البشري و طبيعة الحياة الإنسانية ودرجة تعقدها، ليمسي متضمنا عنصرين هامين هما: مجموع الإمكانات الجسدية والفكرية والمهارة لدى الإنسان التي تمكنه من القيام بنشاط منتج لسلعة أو سد حاجة معينة كعنصر أول أما العنصر الثاني فيتمثل في أن يكون هذا النشاط هادفا. او بتعبير آخر العمل في الاقتصاد هو الجهد (الجسدي او العقلي او هما معا) الذي يبذله شخص بهدف بلوغ غاية او تحقيق غرض ما (مادي ، او غير مادي او هما معا) بحيث لا يهدف هذا النشاط لمجرد التسلية والاستمتاع . كما ذهب بعضهم إلى إن العمل هو الوظيفة التي يقوم بها الإنسان بقواه الجسدية والخلقية لإنتاج الثروات و الخدمات.[4]

1-1-2-تعريف عمالة الأطفال: تعرف منظمة العمل الدولية عمالة الأطفال على النحو الآتي [5]: إن جميع المهام التي يؤديها الأطفال أو المراهقون لا تقع بالضرورة تحت اسم عمالة الأطفال التي يجب القضاء عليها. حيث إن المهام التي

تقتصر على مساعدة الوالدين في المنزل، في الأعمال العائلية في ظل ظروف معينة، كسب بعض مصروف الجيب خارج ساعات الدوام المدرسي أو خلال العطل المدرسية لا تعتبر من مهام عمل الأطفال. ومن ناحية أخرى يشمل مفهوم "عمالة الأطفال" جميع الأنشطة التي تحرم الأطفال من طفولتهم، وقدراتهم وكرامتهم، وتؤثر في تعليمهم و صحتهم و نموهم البدني و العقلي. يشير إلى الأعمال:

- خطر على الصحة والنمو البدني أو الاجتماعي أو العقلي للأطفال؛
- الذي يهدد تعليمهم:
- عن طريق حرمانهم من أي تعليم ؛
- من خلال إجبارهم على التخلي عن المدرسة قبل الأوان ؛
- من خلال إجبارهم على تراكم المدرسة بشكل مفرط ومؤلمة وأنشطة مهنية لهم.

وفي أكثر أشكاله تطرفا، وعمالة الأطفال للأطفال المستعبدين، وفصلهم عن أسرهم، ويتعرضون للمخاطر وأمراض خطيرة و / أو اليسار ليدافعوا عن أنفسهم في شوارع المدن الكبرى، في كثير من الأحيان من عمر أصغر. أن هذا شكل معين من العمل يذهب أو لا اسم "عمالة الأطفال" يعتمد على عمر الطفل وطبيعة العمل المنجز، الشروط التي بموجبها يتم تنفيذ ذلك وأهداف كل بلد متابعتها. تختلف الإجابة من بلد إلى آخر ومن قطاع اقتصادي إلى آخر.

1-2- السمات الشخصية للطفل العامل: السمات الشخصية للطفل العامل وفق ما أكده حمزة جمال مختار (1997) في دراسته المعنونة " عمالة الأطفال- رؤية نفسية" [6] و نحاول التعرض بالتفصيل فيما يلي:

1-2-1- فقدان الشعور بالأمن: يعد الأمن من أهم الحاجات الإنسانية و هو ما أشار إليه ماسلو (سلم ماسلو للحاجات)التي تستقيم بها حياة الفرد و المجتمع معا فاستشار الخطر يولد حالة من الاضطراب المتمثل سواء في القلق او التوتر او الخوف و غيرها في دلالات صريحة عن وجود حالة من اللاتوازن الانفعالي الوجداني والسلوكي. مما قد تؤدي إلى سلك سلوكات عنيفة او عدوانية. والطفل ككائن ضعيف يحتاج إلى التواجد في بيئة أسرية تنعم بالأمن و الاستقرار أكثر من غيره آمنا ماديا و معنويا يجعل من الأسرة مصدر جذب و استقرار. غير إن ولوج الطفل إلى عالم الشغل في سن مبكرة يجعله يعاني مخاطر الحياة وما تخبئه الأيام من مفاجآت وصدمات تنغس حياته و تلونها بألوان الإحباط و الكآبة نازعة عنه حقه في الاستمتاع بها في صغره، لتبرز أعراضها تدريجيا مع مرور الزمن.

1-2-2- فقدان القيمة والكرامة والإنسانية: عادة ما يسعى الطفل في مراحل نموه الأولى إلى القيام بالعديد من السلوكات والتصرفات التي يهدف من خلالها لفت الانتباه نحوه. والاهم من ذلك نيل المكانة والتقدير الذي يحتاجه، ومن بين ما قد يقدم عليه ولوج عالم العمل. غير أنه وفي حالتنا هذه يجد ان مصيره هو المعاناة، لذا عليه أن يتقبل آلامه ومعاناته. كما لو أنها مفروضة عليه وهي مهمة فريدة و متميزة. وعليه إن يعترف بالحقيقة انه حتى في المعاناة فهو فريد ووحيد في الكون. و لا يستطيع احد إن يخلصه من معاناته او يعاني بدلا منه ففرصته الفريدة تكمن في الطريقة التي يتحمل بها أعباءه ومتاعبه.[7]

-1-2-3- غياب الحرية: إن موضوع الحرية موضوع هام و استشارها على قدر من الأهمية ما تجعل الفرد ينزع إلى البحث عنها و تحقيقها بسبل عدة. إن حرية الإنسان او قهريته و تبعيته إلى الغير المشيء او المعنوي تمارس عليه نوعا من القهر. ففي هذا السياق أكد الفيلسوف جان جاك روسو إلى أمر هام ناقشه في كتابه "اميل "حول الحرية، فذهب إلى إن الإنسان – الطفل- حر بالطبيعة لذا يجب نتعامل معه وفقا لهذا المعطى بل يجب نعززها من خلال نمط تربوي تحرري ينمي الخبرة اليا و ذاتيا دون تدخل من الآخرين. والطفل العامل تسلب منه حريته و تمارس عليه مختلف مظاهر القهر و الاستغلال لتنمو لديه مشاعر العدوانية التي قد تتجسد في صور عنيف مستديم.

1-2-4- النظرة العدوانية: عندما يلجا البعض إلى السلوك العدواني فان هذا التصرف قد يكون نابعا عن حاجة لديهم للخروج من مأزق او لخفض توتر ناتج عن عقبة أو أزمة تصادفهم[8]، كما قد يكون محصلة إحباط عميق نتيجة الظروف الأسرية التي تعانيها من فقر مدقع و عجز مستديم عفي تلبية الحاجات فهو يعايش ظرفا ووضعا قاهرا في مضاعفة له المأسوي من خلال ما يعانينه من متاعب ومشاق في عمله أينما وجد، في جرعة مضاعفة ومستديمة لهذا الإحباط الذي يعبر عنه في تجليات عدوانية و عنيفة كحل دفاعية تكسبه استقرار و اتزانا انفعاليا تدريجيا.

-1-2-5- الشعور بالحزن : غالبا ما يتملك الحزن الفرد في حال ما إذا اخفق او فشل في تحقيق ما يطمح إليه، ليعبر عنه شعوريا انفعاليا وجدانيا. فهو صورة تعبيرية عن العجز عن تحقيق ما يصبو إليه.

1-2-6- **غياب سلطة الأسرة او ضعفها** :إن اكتساب الطفل ماديا من خلال العمل الذي يمتهنه يشعره بامتلاك القوة، و بالتالي القدرة على السيطرة والتدخل نسبيا في اتخاذ القرارات الأسرية الهامة، خاصة إذا هو المعيل الوحيد والمصدر الأوحد للدخل فيها. لتبدو منه صور الرضا في حال ما إذا انسجمت مع ما يطمح إليه و الاستهجان في عكس ذلك. في المقابل تضعف السلطة الأبوية تدريجيا لصالحه.

1-3- المخاطر الأمنية لعمالة الأطفال:

من ابرز المخاطر الأمنية التي يتعرض لها الأطفال العاملون كما ذكرها الأطفال أنفسهم:[9]

- اكتساب عادات سيئة مثل التدخين والتعامل مع المسكرات و الكحول
- التعرض لعلمية النصب و الاحتيال و عدم دفع مستحقاتهم.
- تعلم الغش و التعرض لإغراءات رفاق السوء مما قد يؤدي إلى الانحراف و الانزلاق و ارتكاب أعمال غير قانونية كالسرقة و تعاطي المخدرات و ترويجها.
- التعرض لمخاطر الخطف .
- التعرض للتحرش الجنسي .
- التعرض لأشكال مختلفة من الاستغلال .

2.محددات الأسرة:

2-1 - تعريف الأسرة: تعد الأسرة الخلية الأولى في جسم المجتمع وهي النقطة التي يبدأ منها التطور، وهي أول وسط طبيعي واجتماعي ينشأ فيه الفرد، ويتلقى المكونات لثقافته ولغته وتراثه الاجتماعي.[10] كما أنها أهم النظم الاجتماعية التي أنشاها الإنسان لتنظيم حياته في الجماعة[11]، فهي الوحدة الاجتماعية الأولى التي تهدف إلى المحافظة على النوع الإنساني و تقوم على المقتضيات التي يرتضيها العقل الجمعي والقواعد التي تقرها المجتمعات المختلفة .[12]

لقد اختلف العلماء والباحثون في ميدان الأسرة في استعمال مصطلح الأسرة، فالبعض منهم من استخدم لفظة أسرة في حين استخدم غيرهم لفظة العائلة في كتاباتهم، في المقابل انه هناك فريق ثالث وهو الذين اعتمد كلا اللفظتين في آن واحد، غير انه هناك اتفاق فيما يتعلق أنها (الأسرة – العائلة) كلا من الزوج والزوجة والأطفال[13] .

تعد الأسرة من أقوى العوامل التي تساهم في تكوين شخصية الطفل، فتؤثر في توجيه سلوكه وتحديد اتجاهاته المستقبلية باعتبارها المجتمع المصغر، فهي المجتمع الوحيد الذي يختلط به في طفولته الأولى، فيخزن في ثنايا شخصيته ما يدور أمامه (الجوانب اللاواعية للثقافة) في الأسرة من أحداث تطبع في مشاعره ما تلقاه من قسوة أو حنان، عناية أو إهمال لتصبح مركبا و مكونا في شخصيته و محددا لمعالمها في الكبر[14].

إن الأسرة الحديثة هي في الواقع أكثر من مجرد مجموعة من الأشخاص الذين يعيشون معا في مسكن واحد ، إذ هي تعتبر مجموعة من الشخصيات المتفاعلة و التي نجد فيها لكل عضو دور يؤديه، حيث أن هذه الأدوار تخضع لمبدأ التغير حسب المواقف وبمرور الزمن. ففي الموقف الذي يختص بالملابس فمثلا نجد غالبا أن دور الأم هو المسيطر، في حين استخدام سيارة الأسرة فان قرارات الأب نهائية. أما دور الابن فانه يتراوح ما بين تقبل سلطة الآخرين، إلى المشاركة في القرارات و أحيانا يكون هو المسيطر في الأسرة .[15]

مما تقدم يمكن الإقرار بأهمية الأسرة الإنسانية لعدة عوامل نذكرها كالآتي [16]:

- إنها تمثل الجماعة الاجتماعية الأولى التي تستقبل الفرد وليدا و تنهض برعايته، و إشباع حاجاته حتى يتحقق له القدر اللازم من النضج الذي يساعده على الاعتماد على ذاته .
- إنها تحدد للفرد نطاق حركته في المجتمع، وذلك في إطار ظروفها الاجتماعية و الاقتصادية .
- إنها تقوم بعملية تنقية لما يتلقاه الفرد من أفكار وخبرات من خارجها، حيث يتم تقويمها وتحديد الملائم وغير الملائم منها .
- إنها تعد بمثابة حلقة الاتصال بين الفرد والمجتمع، فهي تقوم بنقل التراث الثقافي والحضاري للمجتمع إلى الفرد من خلال عملية تنشئته .

2-2- وظائف الأسرة: تتعدد وظائف الأسرة وتختلف باختلاف شكلها (الممتدة – النووية) ونذكر منها :

- الوظيفة البيولوجية : تقوم الأسرة بالحفاظ على النوع البشري من خلال إشباع الحاجات الجنسية على أسس قانونية و شرعية، بالإضافة إلى تقديم الإشباع العاطفي للأفراد، كما أنها تقوم بتوفير الحاجات الأساسية من مأكل و لباس وحب و رعاية [17].

- الوظيفة الاجتماعية: من خلال مختلف الأنشطة التي تؤديها الأسرة فإنها تقوم بنقل الثقافة المجتمعية من جيل إلى آخر بالاعتماد على أساليب تربوية متعددة قد تكون سوية و العكس، والذي بدوره يساهم في تشكيل نمط شخصية الأبناء التي قد تكون سوية أو مرضية. كما أنها تقوم بعملية تنقية و غربلة الثقافة من الأنماط السلوكية و الفكرية التي لا تتماشى مع مبادئها وأهدافها. بالإضافة إلى ممارستها عملية الضبط السلوكي قصد جعل الأبناء يتوافقون ويندمجون في المجتمع .

- الوظيفة التعليمية : من خلال قيام الأسرة بمتابعة و مراقبة الدورية لمختلف المستجدات المرتبطة بالأبناء من بينها متابعة مدى تقدمهم في دراستهم . لذا تعد الأسرة عاملا في إخفاق أو نجاح الأبناء في تحصيلهم الدراسة من خلال توفير الجو السليم لاكتساب المعرفة والعلم .

إن أداء الأسرة لوظيفة نقل الثقافة المجتمعية للفرد يتم في إطار ثلاث وظائف و هي [18]:

- الانتقاء : فالأسرة تنتقي من عناصر الواقع الثقافي و ميراثه ما تنقله إليه .

- التفسير : و هي تفسر للطفل ما تنقله في إطار معاني ثقافية تدرسها و تهتم بها وفقا لثقافة الأسرة .

- التقييم : حيث تقوم بتقييم ما تنقله و ذلك يعتمد على خبرة الأسرة و تطلعاتها و إدراكها لما تراه من الثقافة.

2-3– أشكال الأسرة الإنسانية: لقد اختلف العلماء الاجتماعيون والانثروبولوجيون في تحديدهم لأشكال الأسرة، ولعل السبب في ذلك هو اعتمادهم على معايير ومحددات متعددة في التصنيف، حيث تصنف من حيث النسب الانتمائي (النسب الانومي، الابوسي)، كما قد تصنف من حيث حجمها نطاقها (الصغيرة، الموسعة)،أو من حيث الوظيفة (الاستبدادية ، الديمقراطية).

في العموم نتعرض فيما يلي إلى البعض من أشكال الأسرة :

2-3-1- الأسرة النووية (النواة): وهو الشكل الذي يتبع في المجتمعات الغربية المسيحية خاصة، إذ أن نمط الزواج الأحادي و الذي يفرض الاقتران و الزواج بين رجل و امرأة واحدة. و عليه تضم الأسرة النواة كلا من الزوج و الزوجة و أبنائهم غير المتزوجين. و في حالات نادرة قد تتضمن الأبناء المتزوجين مما يولد نموذجا من العلاقات المتشابكة القائمة على مفهوم أداء الأدوار المتوقعة لكل عضو منتمي إليها. أن هذا النموذج الأسري أضحى النموذج الأكثر انتشارا حتى في المجتمعات الإسلامية، و لعل السبب وراء ذلك هو العولمة و الظروف الاقتصادية المتردية و زيادة الوعي الصحي لدى أفراد المجتمع .

2-3-2- الأسرة الزواجية : يتسم هذا الشكل الأسري بتمركز العلاقات الأسرية القائمة على محور العلاقة بين الزوج و الزوجة أكثر من قيامها على العلاقات الدموية. و يقوم بالأدوار في هذا الشكل كلا من الزوجين و الأبناء غير المتزوجين حتى و أن ضمت أقارب دمويين فاد دورهم يكون سطحيا و هامشيا .

2-3-3- الأسرة المركبة : يضم هذا النموذج الأسري شكلين أسريين هما :

- **الأسرة متعددة الأزواج أو أسرة متعددة الزوجات :** تنتج هذه الأسرة من اتحاد أسرتين نوويتين من خلال نمط الزواج التعددي (تعدد الأزواج، تعدد الزوجات)، فقد أن يكون الزوج مشتركا وهو ما يلاحظ في مجتمعات الإسلامية التي تقر تعدد الزوجات. كما تنص عليه الديانة الإسلامية إذ يعيش مع زوجاته و أبنائهم، أو أن تكون زوجة مشتركة مع أزواجها و أولاهم و هو نموذج نادر الوجود .[19]
- **الأسرة الممتدة :** تتكون الأسرة الممتدة من عائلتين نوويتين أو مركبتين أو أكثر و يشترط توافر رابطة القرابة الدموية بين أعضائها. كما يعيش هؤلاء في مكان إقامة واحدة ويسود بينهم التعاون الاقتصادي. يضم هذا النموذج من الأسرة كلا من الزوج و الزوجة وأبنائهم الذكور أو الإناث و عائلتهم و بناتهم و أحفادهم المتزوجين و غير المتزوجين حسب نظام السكنى المتبع في المجتمع (السكنى من أهل الزوج- السكنى مع أهل الزوجة).

لقد عرفت الأسرة البشرية عدة تغيرات على مستوى البنية التركيبية و الوظيفية، حيث اتخذت شكل الأسرة النووية نتيجة لجملة من العوامل كانتقال المجتمع من المجتمع الزراعي إلى الصناعي، و ضعف سلطة رب الأسرة، التغير التكنولوجي، بالإضافة إلى خروج المرأة إلى العمل...

لقد كانت الأسرة في البدء واسعة النطاق و الحجم متخذة شكل الأسرة الممتدة و التي تضم مجموعة أفراد تربطم علاقة قرابة و ينتمي أعضاؤها إلى أكثر من جيلين (أجداد، أبناء، أحفاد) يعيشون في نفس السكن أو في نفس الحارة ..،و يشكلون وحدة اجتماعية. أما الأسرة النووية فتضم كلا من الأب و الأم و الأبناء غير المتزوجين قد تربطهم علاقات دموية أو قانونية

2-4- المداخل النظرية التحليلية للأسرة :تعد الأسرة باعتبارها نظاما اجتماعيا أساس الوجود الاجتماعي، حيث أنها الوسط الأول الذي يستقي منه الفرد معارف و خبراته و تجاربه في ظل علاقات أسرية متشابك، تساهم في تشكيل نمط شخصية معينة للفرد ، غير أنها قد تخفق في أداء الأدوار المتوقعة منها. عموما تكتسي الأسرة أهمية بالغة في المجتمع الوضع الذي دفع بالكثير من الباحثين و العلماء التخصص في دراستها و تحليلها الوضع الذي اسفر على تأسيس فرع علمي يتخصص في دراستها و هو علم الاجتماع العائلي أو كما يفضل البعض تسميته علم الاجتماع الأسري .

فيما يلي نتعرض إلى البعض من المداخل و النظريات المعرفية التحليلية للأسرة على النحو التالي :

2-4-1-النظرية التطورية: لقد انشغل التطوريون بالبحث عن أصل الأسرة و تحديد المراحل التي تطور عبرها نظام الأسرة. فبناء على قراءة التراث المكتوب و الذي يمثل في كتابات الأوائل من الإغريق و الرومان و أيضا الفراعنة... ذهب البعض إلى الاعتقاد أن الأسرة قد انتقلت من شكلها البسيط إلى المعقد أو الأكثر تعقيدا و تركيبا.

لقد تباينات رؤى التطوريون حول أصل الأسرة الإنسانية ، إذ نجد من أكد أنها كانت في الأصل أسرة امومية ثم انتقلت إلى أسرة ابوسية ويمثل هذا الاتجاه كلا من "باخوفن" ،لويس هنري مورغان. لقد أورد "باخوفن" أفكاره حول الأسرة في كتابه "حق الأم" الذي أكد فيه أن نظام الانتساب إلى الأم (الامومي) اسبق في ظهورا من نظام

الانتساب في الأب(الابوسي) و ذلك لاعتبارات متعددة . أما "لويس هنري مورغان" فقد قضى فترة زمنية بين الايركوازيين و اصدر كتابه "رابطة الايركوازيين" عام 1851 و أيضا كتابه "المجتمع الغابر" عام 1877 . حيث أكد ما ذهب إليه باخوفن ، كما انه أكد أن كل مرحلة تطورية للمجتمع تفرض نمطا معينا من التقنيات و الأدوات والأنشطة الاقتصادية والتي تنعكس على شكل التنظيمات الاجتماعية و السياسية . فمرت المجتمعات الإنسانية بعدة مراحل تطورية هي : الهمجية، البربرية، الحضارة. لقد قسم مورغان المرحلتين الأولى والثانية إلى ثلاث مستويات من الأدنى إلى الأعلى مرورا بالوسطى .

أما الاتجاه الثاني و هو المعارض للاتجاه الأول، و يمثل هذا الاتجاه "هنري مين" الذي رفض الاعتقاد القائل بأسبقية النظام الاموسي على النظام الابوسي، بل انه يقر وجود النظام الابوسي فحسب منذ القدم، وانه لا وجود للنظام الاموسي. فانصب اهتمامه حول نظام القرابة و الزواج، حيث انه مع تحول المجتمعات من حالة المكانة إلى حالة التعاقد تتحلل الروابط القرابية ويصبح الفرد و ليس العائلة هو الوحدة الأساسية للمجتمع، كما يتحول نظام الزواج التعددي إلى الزواج الأحادي [20].

إن ما يعاب على ما ذهب إليه التطوريون في تحليلاتهم حول الأسرة يفتقر إلى الدراسة الامبيريقية الواقعية، إذ يحتكم إلى التخمين والظن ، إذ أنها عبارة عن استنتاجات بسيطة تخلو من الدقة العلمية .

2-4-2-النظرية البنائية الوظيفية: تنظر النظرية الوظيفية إلى الأسرة باعتبارها نسقا أو نظاما اجتماعيا من النظم الكثيرة المكونة للبناء الاجتماعي ، والأهم أنها تجعل من الوظيفة منهجا تحليليا يساهم في الفهم الموضوعي والامبريقي للمجتمع الكلي، إذ يقصد بالوظيفة النتائج والآثار التي يمكن ملاحظتها والتي تؤدي إلى تحقيق توازن واستقرار المجتمع.[21]

لقد قام العديد من الباحثين بتصنيف النظم الاجتماعية في ضوء الوظائف التي تؤديها، من بينها النظام الاقتصادي الذي يؤدي وظائف الإنتاج و التوزيع، أما النظام الأسري فانه يختص بوظائف الإنتاج البشري و التكاثر و التنشئة الاجتماعية...كما يساهم هذا النظام في تقديم الحماية و العاطفة لهم . تضم الأسرة عددا من الأعضاء الذي قد تربطهم علاقات دموية حيث أن كل عضو في هذه الأسرة يحتل مكانة و موقعا بها و الذي يحدد الأدوار التي من المتوقع أن يؤديها أي عضو فيها. إن استقرار الأسرة يعتمد على مدى قيام أعضائها بالأدوار المتوقعة منها و التي تم تحديدها اجتماعيا في ظل شبكة من المعايير و القيم الواجب الالتزام بها .

لقد خضعت الأسرة لجملة من التغيرات بنيوية وظيفية التي قد غيرت من ملامحها التقليدية (الأسرة الممتدة) إذ اتخذت شكل الأسرة النووية ، ولعل السبب وراء هذا التغير هو انتقال المجتمع الإنساني من المجتمع الزراعي إلى الصناعي وخروج المرأة للعمل.. و غيرها من العوامل. قد يعد خروج المرأة للعمل من أهم المظاهر المميزة للمجتمع المعاصر وللأسرة النووية، إذ انه دفع إلى ضرورة استحداث مؤسسات أخرى تختص بتربية وتنشئة الأبناء، فظهرت رياض الأطفال والمدارس ودور الحضانة .

2-4-3-النظرية التفاعلية الرمزية : تضم الأسرة عدد من الفاعلين الاجتماعيين الذين يعيشون في بيئة رمزية خاصة وهي الأسرة و أيضا بيئة عامة هي المجتمع المحيط بهم. أن الفهم الموضوعي والدقيق للأسرة لا يتأت من خلال التعرض للوظائف التي تؤديها و انما من خلال فهم العمليات الاجتماعية (الأفعال الاجتماعية)التي تتم على مستوى هذه البيئة، كما تبدو في وعي و مدركات الفاعلين .

إن التفاعلية الرمزية تنظر إلى الأدوار في نطاق التفاعل الاجتماعي، إذ أنها تفترض أنه(التفاعل) يتحدد مما يحملونه في عقولهم و وعيهم من معان تتصل بالعالم الرمزي المحيط. فالأسرة تساهم في تشكيل ذوات أطفالها وتكتسب هذه الذات خصائصها بالتدريج وتطور لنفسها استقلالا بالتدريج. كما أن طبيعة هذا التفاعل هي التي تحدد طبيعة الذوات التي يتم تشكيلها، فكلما كان التفاعل الاجتماعي من الآباء ايجابيا، كلما كانت استجاباتهم أكثر تدعيما كلما أنتجت الأسرة ذوتا أكثر ألفة بالرموز في بيئة الأسرة و بيئة المجتمع.[22]

2-4-4-النظرية التبادلية : تضم الأسرة عددا من الفاعلين الاجتماعيين الذين يعيشون حياة مشتركة في ظل علاقات تبادلية نفعية تحقق المنافع و تجنب الخسائر لهؤلاء الفاعلين، غير انه ليس بالضرورة أن تكون المنافع و الفوائد التي يجنيها الفرد ذات اعتبارات مادية بل قد تكون ذات اعتبارات معنوية. فالأب باعتباره فاعلا اجتماعيا يحتل مكانة ويؤدي أدوارا (الواجبات) داخل الأسرة سواء من تأمين الجانب المادي والاقتصادي فانه يتلقى المقابل أي الجزاءات والمكافآت (الحقوق) من باقي الفاعلين بالأسرة من زوجة، أبناء... غير أنها قد تتخذ صورا معنوية تقديرية كالاحترام والطاعة و الانصياع و الانضباط للقيم الأسرية.

إن الجدير بالتنويه أن مبدأ العدالة التوزيعية التبادلية هو الذي يحدد مستقبل العلاقات التفاعلية بين مختلف الفاعلين داخل الأسرة و حتى داخل المجتمع الكلي، فكلما توازنت الواجبات مع الحقوق داخل الأسرة كلما أدى ذلك إلى توطيد و تعزيز العلاقات فيما بين الفاعلين، و العكس بالعكس .

3ـ علاقة الظروف الأسرية المتردية وعمالة الأطفال:

إن الإنسان في العائلة التقليدية عضو أكثر من كونه فردا مستقلا، يعتبر كل تصرف او قرار مستقل خروجا عن وحدة العائلة و تنكرا لجميلها. بكلام آخر؛ إن كون العائلة وحدة اقتصادية و نواة للتنظيم الاجتماعي يجعل القرارات الأساسية شأنا عائليا وليس شأنا فرديا. [23] وتماسكها مرهون بتوافر الانسجام والتكامل بين أعضائها و بما توفره من اشباعات لهم. و في اعتقادي أن أهم ما يستوجب أن يستشعر به أعضاء الاسرة هو الأمن والحب والاحترام؛ غير انه قد يفتقد هذه العناصر الأساسية للاستقرار الأسري ليتبدل الوضع إلى حالة من الحرمان العميق في ظل ظروف أسرية متردية وسيئة، تدفع بالمنتمين إليها إما إلى الهروب منها فعليا او وهميا (تعاطي المخدرات) او بذل المجهود لتغيير الوضع المفروض والمرفوض في آن واحد من خلال الزج بالأبناء عامة والأطفال في عالم الشغل وتسريحهم او إيقافهم عن الدراسة طوعا او كرها. إن مثل الصورة المأسوية تجعل من المنزل الأسري بمثابة مصدر للقلق والإحباط المستديم.

وعلى اعتبار أن موضوع هذه الورقة البحثية هو العلاقة بين الظروف الأسرية المتردية وعمالة الأطفال، فإننا نكتفي بالتركيز على هذا الجانب فحسب دون إهمال لما تمثله المسببات الأخرى من ضغط دافع نحو عمل الأطفال. ولكن قبل ذلك تجدر بنا التنويه إلى إن إشراك الطفل في انجاز الأعمال المهنية وتحمل المسئوليات في سن مبكرة كان ملمحا بارزا في تاريخ الأسرة العربية في استمرارية للطابع المهني للأسرة (وحدة إنتاجية اقتصادية) باختلاف الجنسين (الذكور– الإناث) فمنهم من يعمل في مجال الفلاحة و الزراعة والرعي أيضا. و هذا الوضع جاء من منطلق تلك النظرة التي كانت تموقع و تموضع هذا الطفل في مصف الكبار فهو الخليفة للأب في إسقاط لهذه الصورة بما تحمله من معنى على هذا الطفل. فينشأ و يشب الطفل الرجل على هذه الشاكلة عضوا فاعلا ومنتجا مساهما في تحصيل قوت أسرته، و بمجرد بلوغه سن 14 عشر إلى 16 يحتل موقعه ومركزه في مصف الكبار من خلال تكوينه أسرته الخاصة. و في هذا المقام نستدل بنماذج عدة نستقيها من تاريخنا القديم بدءا بالأنبياء والرسل من بينهم رسول الله (ص) حيث كان راعيا للغنم و في ذلك حكمة إلهية. كما كان أيضا أهالينا الأولين قبل الثورة التحريرية وبعدها؛ حيث كانت الجزائر ذات طابع زراعي بامتياز، فتربى الأبناء على تقديم المساعدة وتحمل المسئولية في أداء الأعباء الحياتية في سن مبكرة؛ بدءا من الاهتمام بالأرض والإشراف عليها إلى رعاية المنزل و الوقوف على متطلباته .

ونحاول فيما يلي استعراض البعض من الظروف الأسرية المتردية التي أدت نحو عمالة الأطفال:

3-1- الارتجالية في اتخاذ القرارات الأسرية المصيرية:

إن الأسرة السوية هي التي تعمل على احتواء المشكلات التي تصادفها في الحياة بروية و حكمة في جو تفاعلي تشاركي يجعل منها بمثابة وحدة متكاملة متساندة يعمل العضو فيها من اجل صالح الكل. فيجتهد الوالدان خاصة لتامين حاجات الأسرة المتنامية غير أنها قد تخفق في تحقيق ذلك. مما يجعلها تصارع وضعيات و مواقف تمارس بما لديها ضغطا و قهرا عليها ليدفع بها دفعا نحو اتخاذ قرارات هامة في حياة الأسرة. والوضع يزداد تعقيدا عندما يتفرد رب الأسرة (الأب) وحامها باتخاذ القرارات الهامة مثل بيع المنزل او بيع السيارة لمواجهة الضائقة المالية، توقيف احد الأبناء المتمدرسين من الدراسة بهدف العمل كما قد تكون من اجل شراء مخدر.... وغيرها كثير في ارتجالية متناهية وتملص من أداء الواجبات الملقاة على المعيل الأصلي و هو الأب إن وجد.

نجد من الضرورة في هذا المقام الإشارة إلى نظرية القرار الأسري التي طورها"**بيكر**"BECKER1964 في تفسيرها لظاهرة عمالة الأطفال إلى كون الطفل مسلوب الإرادة لا يستطيع تقرير مصيره بنفسه. وبناء على ذلك فان الأبوين يقرران عنه بما يتوافق مع مصالحهما ويخدم ويحقق رغباتهما دون إن يضعا في الحسبان مدى تأثير ذلك القرار على مستقبل الطفل و إمكانية الإضرار بمصالحه. وعليه فتنظر الأسرة إلى الأطفال على أنهم أعضاء مساعدون و فاعلون في الأسرة مما يعطيهم أهمية اكبر فالأطفال يعدون بمثابة مشاريع استثمارية لمستقبل الأسر[24]. (الفلسفة البراغماتية تنظر إليهم من منطلق اداءاتهم الوظيفية وما يحققونهم لأسرهم من منافع وفوائد).

إن مثل هذه الارتجالية في اتخاذ القرارات المصيرية في الأسرة تكلف الكثير وبخاصة ما تعلق بمصير الأطفال، حيث يتم حرمانهم من ابسط حق لهم هو حقهم في التعليم، ونحن نعي ما للتعليم من أهمية في إكساب الثقافة

المجتمعية و التربية الأخلاقية والحرمان المبكر من التعليم ينعكس بشكل جلي على هؤلاء الأطفال العمال فيجعلهم أكثر عرضة من غيرهم للانحراف، وهذا ما توصلت إليه العديد من الدراسات السوسيوجنائية. وإن هذا الوضع الأسري المتمثل في التفرد باتخاذ القرارات الأسرية في ممارسة بشعة للسلطة القهرية يستوجب نمط تربويا معينا وهو القهرية والقسوة في التعامل مع الأبناء على اعتبار أنهم أشياء او ممتلكات ذات منفعة شخصية و هو يتفق مع جوهر نظرية القرار الأسري.

قد تتبني الأسرة أسلوب القسوة في تربية الأبناء حيث يعتمد الوالدان القسوة والعنف بمختلف أشكاله اللفظية (السب، الشتم...)، الجسدية (الضرب، الركل...) كأسلوب لإحلال الضبط والانصياع والخضوع من طرف الأبناء، والذي ينعكس سلبا على البنية النفسية والجسدية عليهم خاصة في حالة اعتماد هذا الأسلوب بشكل دائم و مستمر. فيدفع بالأبناء إلى الفرار و الهروب من المنزل خاصة المراهقين والراشدين (التمرد والعصيان على الأسرة) ويكون نتيجة إحساس و شعور الأبناء بوجود ما يهدد مصيرهم.

3-2- الدخل الأسري المتدني:

إن طبيعة العمل الذي يقوم به الأولياء هو الذي يحدد مستوى الأسرة الاقتصادي و مكانتها الاجتماعية، فالدخل الوفير يمكن من توفير الحاجات الأسرية اللازمة و الكمالية في آن واحد، فالابن المنتمي إلى مثل هذه الأسر يستمتع ويتمتع بمصادر الراحة دون إنهاك لقواه النفسية والانفعالية والذهنية في التفكير بالغد، فحسبهم هم بمأمن من المخاطر والمشكلات التي قد يصطدم به البعض الاخر من الأسر.

إن إشباع الحاجات المادية والمعنوية تبعث في نفس المنتمين إلى هذه الأسر الثقة والتقدير للذات ومعنى للوجود في هذه الحياة. إن هذه الصورة تنقلب رأسا على عقب في حال الدخل المتوسط او المتدني الذي يتقاضاه المعيل داخل الأسرة في حيرة و بحث دائمين عن الآليات والسبل التي عساها تؤمن حاجات الأسرة الضرورية من إقراض واستلاف وبيع لأغراض المنزل وعمل ليلي إضافي... غير أن الأزمة تتضاعف عند تتالي المناسبات من عيد أضحى ودخول مدرسي...مما يخلف صدمات متتالية من الإخفاق الذي يصبح تدريجيا -مع تزايد متطلبات الأبناء وانخفاض في قدرة شرائية وتضخم في الدينار كل هذا و غيره- مزمنا ومستديما، و الوضع يزداد تعقيدا في حال بطالة المعيل مما يجعل تامين الدخل الأسري أمرا مستحيلا و قد تكون هذه البطالة بطالة قهرية من خلال تسريح العمال او اضطرارية كالإعاقة و غيرها .

إن تفشي ظاهرة البطالة لا يعود إلى الانخفاض الملحوظ في إنشاء مناصب العمل فحسب؛ و إنما إلى تسريح العمال الناجم عن مخططات إعادة هيكلة المؤسسات حيث يكشف تحليل المعطيات الخاصة بتسريح العمال إن (58.5 بالمائة) من العمال المسرحين تتراوح أعمارهم بين 30-50 سنة فهم بعيدون عن السن القانونية للتقاعد كما إن (88 بالمائة) منهم متزوجون و بالتالي يتكفلون بأسر[25]. و قد تستجيب الأسرة لمثل هذا الوضع من خلال دفع أبنائهم الأطفال إلى عالم الشغل موسميا خاصة في عطلة الصيف أين ينتهز البعض من الأولياء الفرصة نحو تحصيل المزيد من الأموال لمواجهة و مجابهة انخفاض الدخل او انعدامه .

فقد اظهرت نتائج الدراسة التي أجرتها الباحثة "**سميرة عبد الحسين**" أظهرت بان فقرة انخفاض مستوى دخل الأسرة حصلت على أعلى درجة حدة إذ بلغت (2.81)، بينما فقرة عقاب الأهل للطفل حصلت على اقل درجة حدة إذ بلغت (1.72) وظهر بان عمالة الأطفال تنتشر بين الذكور من الأطفال أكثر من الإناث وإن أعلى نسبة توجد في سن (15). كما أن أعلى نسبة تسرب من المدرسة توجد في الصف الخامس الابتدائي من الذكور فقط.[26]

كما أجريت العديد من الدراسات العلمية؛ كمحاولات استقصائية لظاهرة عمالة الأطفال؛ من حيث العوامل المسببة لها والآثار الناجمة عنها في دعوة ملحة وعاجلة لضرورة حماية الطفل مما يهدد وجوده في احترام لحقوقه و التزام من طرف الكبار لصونها. ومن بين هذه الدراسات المعقمة نجد الدراسة الامبريقية التي أجرتها **منظمة اليونيسيف** سنة 1999 بمساهمة وزارة التضامن الوطني والأسرة بالجزائر، حيث أسفرت على عدة نتائج هامة من بينها التأكيد على تعدد الأسباب و العوامل المؤدية لعمل الأطفال. فغالبية مفردات الدراسة الذين يمارسون أعمالا ينتمون إلى اسر فقيرة ذات الدخل الضعيف او المنعدم لأسباب عدة منها: البطالة الطلاق وفاة احد الوالدين، تسريح العمال، الرسوب المدرسي المتزايد على الرغم من الزاميته في و مجانيته، فضلا عن الظروف الأمنية بسبب الإرهاب والتي دفعت بعض الأسر نحو النزوح من الريف إلى المدينة تاركة وراءها كل ممتلكاته[27].

و في هذا السياق يشير الاستاذ الدكتور **عبد الرحمن بن محمد عسيري** في كتابه "تشغيل الأطفال والانحراف" إلى إن كلا من الفقر وضعف مستوى الوعي لدى الأسر بأهمية التعليم يمثلان العاملين الرئيسيين لعمالة الأطفال في معظم الدول العربية[28]. ويستوقفنا الأمر هنا؛ لنتحدث قليلا عن ما قد يمتهنه هؤلاء الأطفال ذوي البنية الجسدية الضعيفة ذكورا و إناثا ، فالملاحظة العيانية تجعلنا نقر بتنوع ميادين عملهم و هي كالآتي :

- في الأسواق: إن أسواقنا الجزائرية تعج بالأطفال الباعة للأكياس والخضر والفواكه والملابس والأواني المنزلية... في فوضوية عارمة، يزاحم فيها الصغار الكبار في مهنتهم مما يجعلهم محط طرد و ضرب وتعنيف من طرفهم . في حرب دائمة يكون فيها البقاء للأقوى (الكبار). كما قد يستغل هؤلاء الكبار بعض الصغار في تكليفهم بأداء مهامه لهم البعض منها شاق من حمل الصناديق او الأكياس الملء بالخضر مقابل دنانير قليلة في استغلال بشع لهذه البراءة.

- في المزارع: ينتهز البعض من أصحاب الأراضي الفلاحية فرصة جني الخضر والفواكه للاستعانة باليد العاملة المجتهدة والمجدة و الأهم غير المكلفة، و هذه الميزات جميعها تتوفر في الأطفال الذي يبحثون عن فرص هم أيضا لإعالة أهليهم . مما يجعلهم أكثر عرضة من غيرهم للاستغلال البشري من طرف الكثيرين و إن نجوا من هذا فلن ينجوا من مخاطر ضربات الشمس و العمل المجهد .

- في الطرقات والشوارع بين السيارات حيث يبيعون المناديل الورقية و الجرائد اليومية و يعرضون خدماتهم من تنظيف لزجاج السيارات و المركبات و بيع الشاي ....

- في ورشات البناء: حيث قد يتم الاستفادة منهم في حمل الآجر و الاسمنت و مواد البناء المختلفة في إنهاك لصحتهم مقابل دنانير قليلة يسعدون بها علها حسبهم تدخل البهجة على أسرهم.

ونستأنس في هذا المقام بالمعطيات الكمية الواردة في الجدول الموالي الموضح للتوزيع القطاعي للأطفال العاملين للسنتين (2008-2012).

القطاع	2008		2012	
	بالألف	النسبة المئوية	بالألف	النسبة المئوية
الفلاحي	129161	60.0	98422	58.6
الصناعي	15068	7.0	12092	7.2
الخدمات	55109	25.6	54250	32.3
الأعمال المنزلية...	10557	4.9	11528	6.9

الجدول (1) يوضح توزيع الأطفال العاملين حسب متغير القطاع[29]

يوضح الجدول أعلاه؛ أن فئة هامة من الأطفال من تعمل بالقطاع الفلاحي بنسبة قدرت ب(58.6 بالمائة)، أما القطاع الخدماتي فقدرت نسبة اليد العاملة من الأطفال ب(32.3 بالمائة) و توزعت البقية و بنسب متقارب على العمل الصناعي وغيرها. ومرجع ذلك إن القطاع الصناعي مقارنة بغيره من القطاعات الاقتصادية اشد التزاما و تقيدا بالنصوص التشريعية و القانونية و إن المخلفات و التجاوزات في ما يتعلق بالمورد البشري العامل يعرض صاحبه للمساءلة القانونية. و بما إن الأراضي شاسعة وواسعة وبعيدة عن أعين رجالات الأمن والقانون فإنها تستقطب فئة الأطفال و تشغلهم مقابل اجر زهيد في استيلاب واستغلال لهم. كما قد يتم تشغيل الأطفال في القطاع الخدمات على مستوى المحلات التجارية،... او في المنازل لمساعدة أهل البيت في قضاء حوائجهم.

3-3- التفكك الأسري (الطلاق والترمل):

تضم الحياة الأسرية في الأساس شخصين الرجل والمرأة بصفتهما زوجين لكل منهما خصائصه وميوله و استعداداته، مما يجعل استقامة الحياة بينهما تتطلب العقلانية في تسير الأمور والتعامل في تشاركية تضمن الاستقرار فالاستمرار. غير انه تحدث من المشكلات التوافقية فيما بينهما مما يجعل الاستمرار معا مستحيلا لتنتهي هذه العلاقة الزواجية من خلال الطلاق.

إن كل طلاق حتى و لو كان مطلبا للخلاص من معاناة زوجية غير قابلة للاحتمال، وعلاقة لا تتوفر لها ظروف الاستمرار يولد ردات فعل نفسية معقدة يبدأ الأمر بالإحساس بالأسى على فشل المشروع الزوجي وانهيار الآمال المعقودة عليه[30].

يعد الطلاق من مظاهر التفكك الأسري حيث يجد الأبناء أنفسهم في وضعية جديدة تمارس عليهم بكل قوة ضغطا و قهرا مضاعفا من خلال الوقوع في مشكلة الحرمان بمختلف أنواعه معنوي (وجداني) و مادي بسبب إعادة توزيع الدخل إن وجد وفقا للمعطيات الجديدة. و وفقا للتشريع الجزائري فالأطفال يتم تكليف أمهم بحضانتهم مع ضمان فرض نفقة شهرية لهم على الوالد حسب ما تنص عليه المواد 74- 80 من قانون الأسرة الجزائري، غير إن المتمعن في مقدارها يدرك أنها لا تسمن و لا تغني من جوع في ظل تدني مستوى المعيشة المرفوق بتضخم قيمة الدينار.

إن مثل هذا الوضع قد يدفع بالمرأة المطلقة الماكثة بالبيت إلى العمل لإعالة أطفالها، و تلبية حاجاتهم المتزايدة تدريجيا و لعلها تضفر بعمل يمكنها من تحقيق ذلك، والذي يرتبط بمستواها التعليمي وخبرتها المهنية،...وقد يتحقق لها ذلك او العكس مكتفية بدخل ضعيف لا يتماشى ومتطلبات العائلة، مما يضطر بالأبناء (الابن الأكبر) إلى المشاركة في تأمينها من خلال الانضمام إلى شريحة العمال متنازلين عن حقوقهم مستشعرين بمسئولية كبيرة ملقاة على عاتقهم.

3-4-المستوى التعليمي المتدني للأسرة:

يمكن التعليم من اكتساب المعرفة والمهارات والخبرات التي تمكن الفرد من العمل وفقا لما هو متوقع منه في ادائية متناهية لأدواره. غير إن البعض من لا يسعفه الحظ من الاستفادة و الاستزادة منه لظروف قهرية او طوعية. و في هذا السياق تجدر الإشارة إلى ما تبذله الجزائر دولة و حكومة من جهود جبارة لضمان التمدرس للطفل الجزائري من خلال تبني سياسة مجانية و إلزامية التعليم إلى حد سنة(16 سنة)، والإصلاحات التي يخضع لها هذا النسق ما هو إلا دليل على الرؤية الاستراتيجية النابعة من النية الصادقة لتفعيل هذا النسق في انسجامية وتساند و تكامل مع بقية الأنساق .

بالرغم من ذلك تبقى الجهود قاصرة أمام وجود البعض من التحديات مثل الثقافة الأسرية المعادية او المضادة للتعليم محتكمة إلى فهم خاطئ مفاده إن الطفل رجل يجب إن يجد و يجتهد في عمله منذ الصغر. كما إن الفقر الذي قد تعانيه البعض من الأسر قد يدفع بها دفعا قهريا إلى ضرورة إيقاف احد الأبناء من الدراسة للاستفادة منه في تامين الحاجات الأسرية.

لقد توصلت نتائج الدراسة الامبريقية التي أجراها "**لمياء مجادي دندان**" إلى إن المستوى التعليمي للأولياء يمكن من تحديد المستوى الثقافي للأسرة و المستوى التعليمي المتدني للام و الأب يساهم في تهيئة الظروف التي تدفع بالطفل إلى الالتحاق بالعمل و في بعض الأحيان رغم تمدرسه.[31].

خاتمة:

تعد ظاهرة عمالة الأطفال ظاهرة اجتماعية عالمية خطيرة لما لها من انعكاسات سلبية على النشء و تهدد استقرار الأمم، لذا تولى الدول شعوبا وحكومات الاهتمام بها من خلال سن القوانين الردعية التي من شانها توفير حماية للأطفال من مختلف مظاهر الاستغلال. و الجزائر كغيرها من الدول تعمل وفقا للمعاهدات الدولية و الأممية و الوطنية بما يساهم في جعل البراءة تنعم بحقوقها دون استثناء وخاصة حقها في الحياة والتعليم. بالرغم من ذلك قد توجد البعض من الظروف والعوامل التي تدفع بفئة الأطفال نحو العمل منها الاجتماعية والثقافية و....خاصة ما تعلق بالأسرة التي تعد بمثابة المحضن الآمن له؛ غير أنها قد تعاني مشكلات وأزمات تضعف من قوتها وتماسكها فاستقرارها ليدخل الأطفال في دائرة التنازلات عن حقوقهم في محاولة بسيطة منهم لتقديم المساعدة لها من خلال تقاسم وتشارك أعباء الحياة منها المادية والمعنوية ... فنجدهم يخرجون مكرهين من عالم الأطفال وما تمثله إلى عالم الكبار حيث المسئولية ملقاة على عاتقهم.

فمهما استشعر هؤلاء الاطفال من سعادة آنية وعارمة تملؤ نفوسهم لما قدموه من يد العون والمساعدة الى أسرهم؛ إلا انه سلب واعتداء معلن او خفي على حرياتهم وحقوقهم و انتهاك لوجودهم و زج بهم في غيابات المجهول. فهم ذوات ضعيفة تحتاج منا نحن الكبار الأخذ بيدهم ومساعدتهم لمواجهة ومجابهة الحياة، فهم بحاجة لنا أكثر مما نحن بحاجة لهم. لذا لنصن هذه البراءة مما قد يهدد وجودها ونحفظ لها كرامتها وامنها من خلال إتاحتها الحقوق اللازمة لنمو سليم وآمن.

فالبراءة تنهتك اليوم عمدا او كرها و بمبررات واهية او مقنعة؛ من طرف الكبار عامة والاولياء خاصة، في استغلال بشع من طرفهم في استنزاف واستغلال لقواهم الخائرة و ذواتنا الحائرة من ذوي العقول الجائرة. وبناء على ما تقدم اتضح لنا وجود العلاقة السببية بين الظروف الأسرية المتردية وعمالة الأطفال، والتي تمثلت خاصة في:

- الارتجالية في اتخاذ القرارات الأسرية المصيرية.
- المستوى التعليمي المتدني للأسرة.
- التفكك الأسري (الطلاق والترمل).
- الدخل الأسري المتدني.

وهذا لا يعني أن الأسر التي تتوفر على مثل هذه الظروف المتردية بالضرورة تدفع بأبنائها نحو العمل في سن مبكرة، بل وجود معززات ومحفزات أخرى ضاغطة تتفاعل معها، لتجعل من تشغيل الأطفال أمرا واقعا من بينها نذكر: الرسوب المدرسي المتكرر، جماعة الرفاق الشغيلة، كره الدراسة، استحواذ الثقافة المادية على ذوات الأطفال عوضا عن الارتقاء الخلقي، الإعلام الجديد الذي يروج لموضوع عمل الأطفال وربطه بفلسفة توكيد الذات واحترامها المجتمعي....هذا و غيره كثير من المسببات المؤدية إلى عمالة الأطفال.

وفي ظل هذه الوضعية المأسوية التي تعاني منها شريحة من اطفالنا؛ يجب علينا ان نتعامل معها بحسم من خلال اتخاذ الاجراءات اللازمة لحماية هذه البراءة، وفي اعتقادي تتمثل في اتباع الحلول الاجرائية التي بإمكانها ان تؤتي اكلها ان تضافرت جهود الفاعلين الاجتماعيين؛ من مؤسسات حكومية رسمية غير رسمية و اولياء....و التي نسوقها في شكل توصيات و اقتراحات عملية؛ نعتقد أنها قد تفيد في حل مشكل عمالة الأطفال و لو نسبيا، على النحو الاتي:

- إنشاء المرصد الوطني لحماية الأطفال من الاستغلال غير مشروع لهم عامة و بخاصة عمالة الأطفال.
- إنشاء الصندوق الوطني للإعانة الأسرية: حيث توجه مختلف التبرعات والإعانات المقدمة من طرف رجالات الأعمال وفاعلي الخير والمتصدقين بالإشراف من طرف وزارة التضامن الوطني والأسرة، لتقدم هذه الإعانة المالية والمادية في شكل منح عائلية شهرية ثابتة إلى الأسر المعوزة لانعدام الدخل او غياب المعيل او لليتامى...لتحسين ظروف عيشهم. مع الحرص على استفادة المستحقين منها فقط و تجنب ضياعها بين أيدي المخادعين.
- تجريم التشغيل اللامشروع للأطفال، مع توجيه العقوبات المالية والجنائية للأولياء الجناة بسبب دفعهم لأطفالهم نحو العمل دون مبرر او وجه حق.

- وضع رقم هاتف احضر للإبلاغ عن الاستغلال القهري للأطفال في الأعمال الشاقة.
- تجريم و تغريم أرباب العمل الذين يوظفون أطفالا.
- تفعيل دور المؤسسات التربوية من مدارس و مساجد و دور ثقافة في نشر الوعي الوقائي من تشغيل الأطفال و التعريف بمخاطره و انعكاساته على حياة الفرد الطفل و المجتمع ككل.
- تنشيط العمل الجواري الذي تقوم به مؤسسات المجتمع المدني المتمثل في الجمعيات، بما يفيد في عملية التوعية من مخاطر عمالة الأطفال.
- الرفع من قيمة نفقة الأطفال للأسر المفككة بالطلاق، بما يمكن من تلبية حاجاتهم الأساسية ويدفع عنهم- الأطفال- التفكير في ولوج عالم العمل.
- ضمان استفادة الأطفال من التعليم الكافي مع انشاء خلايا انصات على مستوى المؤسسات التربوية، و يتحقق من خلال تفعيل دور مستشار التوجيه والتربية بالمؤسسات التربوية. بما يخدم توجيههم الوجهة السليمة في كشف عن مكبوتاتهم وعقدهم الدفينة والاستثمار في قدراتهم و تثمينها بما يفيد مستقبلهم المهني.

الهوامش:

[1] - كاو ك .كوخ فيزر، عمالة (تشغيل) – الأطفال قضايا و اتجاهات بالنسبة للبنك الدولي، شبكة التنمية البشرية، اكتوبر 1997

[2] -international labour organization; Global estumates of child labour – result and tendens 2012-2016, GENEVA,2017,p5

[3] - عبد الحفيظ سجال، عمالة الأطفال في الجزائر: تباينت الأرقام و الضحية واحدة، 2018/9/12.
https://www.noonpost.com/content/23729

[4] - عبد المجيد لبصير، موسوعة علم الاجتماع – و مفاهيم في السياسية و الاقتصاد و الثقافة العامة ، دار الهدى، الجزائر، 2010 ، 314.

[5]-Organisation internationale du Travail (OIT): 21/9/2018 http://www.ilo.org/ipec/facts/lang--fr/index.htm

[6] - بوحجار سناء، عوامل الجلد لدى الطفل العامل في الجزائر، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه (ل م د) في علم النفس العيادي، جامعة محمد خيضر بسكرة ، 2015-2016، 85-86

[7] -فيكتور فرنكل، الإنسان يبحث عن المعنى – مقدمة في العلاج بالمعنى و التسامي بالنفس، دار القلم، الكويت، ط1، 1982، 109

[8] - سيد صبحي ، الإنسان و صحته النفسية، مصر، 1996-1997، 97

[9] - علي جغدلي، المشاكل الناتجة عن عمالة الأطفال ، مجلة المعارف (مجلة علمية محكمة) كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية ، أكتوبر 2013، العدد 14، 93/92

[10] - مصطفى الخشاب، دراسات في علم الاجتماع العائلي، دار النهضة العربية، بيروت ، 1985، 32 .

[11] - سميرة احمد السيد، علم اجتماع التربية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1993، 63

[12] - احمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت ، 1993، 152

[13] - السيد رمضان، إسهامات الخدمة الاجتماعية في مجال الأسرة و السكان، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ،26

[14] - فوزية عبد الستار، مبادئ علم الإجرام و العقاب، ب دار نشر، مصر ، ب ط، 1973، 10

[15] - زينب إبراهيم العزبي، برنامج دراسة المجتمع – علم الاجتماع العائلي - ، جامعة بنها ، مصر ، 49

[16] - زين العابدين درويش و آخرون، علم النفس الاجتماعي –أسسه و تطبيقاته-، مركز النشر لجامعة القاهرة ، القاهرة ، 1994،ط3،69

[17] - خيري خليل الجميلي و آخر ، الممارسة المهنية في مجال الأسرة و الطفولة ، المكتب العلمي للنشر ، مصر ، 25

[18] - زين العابدين درويش، علم النفس الاجتماعي – أسسه و تطبيقاته - ، مطابع زمزم ، ط3،1994، 54/53 .

[19] - محمد عاطف غيث و آخرون ، قاموس علم الاجتماع ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة ،1979، 179

[20] - احمد زايد، مرجع سبق ذكره ،103

[21] - نيقولا تيماشيف، نظرية علم الاجتماع طبيعتها و تطورها ، ترجمة محمد عودة و آخرون ، دار المعارف ، 331

[22] - احمد زايد ، علم الاجتماع و دراسة المجتمع : مرجع سبق ذكره ، 123/120

[23] - حليم بركات، الاغتراب في الثقافة العربية – متاهات الإنسان بين الحلم و الواقع، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2006، 115

[24] - عبد الرحمن بن محمد عسيري، تشغيل الأطفال و الانحراف، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية ، الرياض، 2005، 35

[25] - حصروري نادية، تحليل و قياس الفقر في الجزائر – دراسة تطبيقية في ولاية سطيف- مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الاقتصادية، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2008-2009، 94

[26] - سميرة عبد الحسين كاظم، عمالة الأطفال في العراق- الأسباب و الحلول، مجلة البحوث التربوية و النفسية ، العدد 30، 151

[27] -لمياء مجادي دندان، تشغيل الأطفال في الجزائر- بين الضرورة الاقتصادية و الحماية الاجتماعية – دراسة ميدانية في وسط حضري- taksidj.com ، للنشر و التوزيع ، الجزائر ،2014، 33

[28] - عبد الرحمن بن محمد عسيري، مرجع سبق ذكره،42

[29] - BIT: Mesurer les Progress dans la lutte contre le travail des enfants –estimation et tendances mondiales 2000-2012; Organisation national du travail. 213;8

[30] - مصطفى حجازي، الأسرة و صحتها النفسية- المقومات – الديناميات – العمليات، المركز الثقافي العربي، المغرب ، ط1، 2015، 220

[31] -لمياء مجادي دندان، مرجع سبق ذكره،169